المقاومة الشعبية الجزائرية: قراءة تاريخية في أسباب حدوثها وعوامل تواصلها (1830-1916)

د. جيلالي بلوفة عبد القادر
قسم التاريخ– بوبكر بلقايد
جامعة تلمسان

1. مقدمة:

وقع احتلال الجزائر بعد تخطيط سياسي ودبلوماسي فرنسي، وفي ظرف كتميز بسوء الأحوال الامة في داخل فرنسا، فكانت الحملة بمثابة تنفس وتقرب وتخلص من الأوضاع الداخلية الفرنسية الصعبة.

أما على الصعيد الخارجي الدولي، فغن تنامي الثورة الصناعية منذ أواخر القرن الثامن عشر التي كانت نعمة على شمال غرب أوربا ونقمة على دول شمال إفريقيا .وعلى العموم ارتبط احتلال الجزائر برغبة فرنسا الاستعمارية والتوسعية؛ وحل للمشاكل الداخلية؛ واتخدت فرنسا من حادثة المروحة حجة وذريعة لفرض أمر الواقع وهو التدخل والاستعمار.

رد الجزائريون على هذا الاحتلال الذي تحول بحكم الغزو إلى استعمار، بالمقاومة التي انتقلت بدورها من "مقاومة رسمية" عند بداية الاحتلال، إذ كانت تحت لواء حاكم لبجزلئر (الداي) حتى توقيع معاهدة **05** جويلية **1830**، إلى "مقاومة شعبية" اتسقت بعدة خصائص ومميزات ومنها استمرارها ونواصلها الزماني من **1830** إلى **1916**، والمكاني إذ توسعت وانتشرت في عدة مناطق من الجزائر، تماشيا وحركية الغزو والاحتلال.

فما هي دوافع وأسباب هذه "المقاوات الشعبية الجزائرية"، بغض النظر عن مكان وزمان وقوعها؟

كيف تفسر دوافع استمرارها إلى غاية **1916** رغم تباين القوة بين الطرفين: سلطة الاحتلال والجزائريين؟

2. الإطار العام للمقاومات الشعبية:

تعددت الدراسات التاريخية الجزائرية والأجنبية حول المقاومة الشعبية للاستعمار الفرنسي كظاهرة تاريخية تم البحث فيها ضمن سياق تاريخي عام، من حيث الظروف العامة المحيطة والأسباب، ومراحل تطور المقاومة، ونتائجها وانعكاساتها.

لقد تخصصت عدة كتابات هامة حول عموم الثورات الشعبية التي شهدتها الجزائر بنوع من التدقيق في الوصف والتحليل [01]...وتناول آخرون مواضيع للبحث في مقاومة شعبية واحدة بمنطقة جغرافية محددة، مثل ثورة المقراني، ثورة بوعمامة، .. المقاومة في الصحراء،...والأمثلة عديدة [02]... ومن شأن هذا النوع الثاني من الدراسات التاريخية المونوغرافية والجزئية التدقيق أكثر في البحث التاريخي وتوجيهه نحو آفاق علمية جديدة بجرأة أكبر، إن توفرت الوثائق والنصوص التاريخية.

يجب الإشارة إلى أن تناول تاريخ الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي، منه تاريخ المقاومة الشعبية في الجزائر يجب أن يكون منطلقه تساؤل عن عمق دوافع هذه المقاومة، وما طبيعتها؟

ثم أن الدراسة التاريخية يكون منطلقها بأن الثورات الشعبية هي رد فعل وطني مشروع ومستمر ومتنوع حسب الظروف المحيطة به، ضد فعل استعماري مستمر وغير قانوني...

إن الفعل ورد الفعل صنعا "الحادثة التاريخية" فعلى الباحث والدارس والمؤرخ للثورات الشعبية أن يدرس الموضوع من هذه المنطلقات العلمية حتى يسعى إلى الحقيقة التاريخية بموضوعية.

بعد احتلال مدينة الجزائر، ظن الجنود الفرنسيون بأنهم استولوا على البلاد وأن عملية الاحتلال لا تعدو أن تكون سوى نزهة عسكرية لجيشهم[03]؛ لكن سرعان ما اصطدم الجيش الفرنسي برد فعل قوي من طرف الشعب الجزائري من خلال المقاومة الشعبية[04]؛ ليلجأ المستعمر إلى رد فعل قوي دموي مبني على تقتيل

وتدمير تنفيذا لأهدافه الاستراتيجية وتأديب القبائل الثائرة[05]. ففي 26 نوفمبر 1830، نفدت الحامية الفرنسية في مدينة البليدة مذبحة رهيبة ضد السكان العزل ...، كما أبيدت قبائل كاملة أحرقت بأهلها وحيواناتها...[06].وتعددت أساليب حرب الإبادة والتقتيل الجماعي، مثل مجزرة قبيلة بني صبيح 1844 التي تمت تحت إمرة الجنرال كافينياك ومجزرة قبيلة أولاد رياح جنوب تنس تحت أوامر العقيد بيليسيي...[07] ومن أجل التحكم في الوضع، أصدرت الإدارة الاستعمارية الفرنسية موازاة مع سياستها في قهر وإبادة الشعب الجزائري، سلسلة من المراسيم والقوانين الاستثنائية...[08]، ومنها قرار "كلوزيل" الصادر في 07 ديسمبر 1830 القاضي بمصادرة الأوقاف وأملاك الأعيان والدولة العثمانية[09]، وقانون إنشاء المكاتب العربية، ومرسوم 31 جويلية 1845 القاضي بالسماح للعسكريين بحجز الأراضي الزراعية في حالة حدوث أي نشاط عدواني ضد فرنسا والقرار المشيخي الصادر في 22 أفريل 1863[10]؛ ومرسوم كريميو 1870 الذي كان يقضي بمنح المواطنة الفرنسية لكل يهود الجزائر وبصفة إلزامية[11]، ومرسوم إنشاء المحاكم الزجرية 1902 وقانون التجنيد الإجباري الصادر في 03 فبراير 1912[12].

رغم السياسة الاستعمارية المبنية على الإبادة الجماعية والقهر والاستيطان، صمد الجزائريون في مواجهتهم للاستعمار، واستمرت المقاومات الشعبية عبر مناطق وأقاليم الجزائر، والجدول التالي يبين الإطار العام للمقاومات الشعبية في الجزائر واستمراريتها...

المقاومة	إطارها الزماني	المناطق	القيادة
ثورة الأمير عبد القادر	22 نوفمبر 1832 إلى 23 ديسمبر 1847	التيطري، سبدو، الزيبان، بسكرة، الصحراء، مليانة، معسكر، تلمسان	الأمير عبد القادر الطريقة القادرية
مقاومة أحمد باي	1848-1937	قسنطينة، بايلك الشرق	أحمد باي
مقاومة بو معزة	1847-1845	الظهرة، الونشريس، مستغانم، الحضنة، أولاد رياح..	محمد بن عبد الله الملقب بومعزة

مقاومة الزعاطشة	1849-1848	الأوراس، الزيبان، الزعاطشة، بسكرة، بوسعادة	بوزيان الشريف بوعمار
مقاومة الأغواط وتوغرت	04 ديسمبر 1852 إلى 29 موفمبر 1854	الأغواط، توقرت، تيارت، غرداية	الشريف محمد بن عبد الله بن سليمان
ثورة القبائل	1857-1851	منطقة القبائل، بجاية، تيزي وزو، البويرة، بومرداس، بني ايراثن، بني عيسى آيت تاوريرت	لا لا فاطمة الشريف بوبغلة
ثورة الأوراس	1858	الأوراس، الوادي الكبير، خنشلة، عين البضاء، بسكرة.	محمد بن عبد الله
ثورة بني سناسن	1859	بني سناسن، الغزوات، تلمسان.	/
ثورة أولاد سيد الشيخ	1880-1864	واحة البيض سيدي الشيخ، جبل عمور، صور الغزلان، تيارت، فرندة، سعيدة	سليمان بن حمزة، معمر بن الشيخ بن طيب. زاوية أولاد سيد الشيخ
ثورة جنود الصبايحية	جانفي 1871	سوق أهراس، القالة...	/
ثورة أولاد عبدون	14 فبراير 1871	قبيلة أولاد عبدون، الميلية.	/
انتفاضة المقراني والحداد	مارس 1871 إلى 20 جانفي 1872	برج بوعريريج، العلمة، سطيف، البويرة، تيزي وزو، بجاية، بومرداس.	المقراني، الشيخ الحداد، بوزراق الزاوية الرحمانية.
مقاومة العمري	مارس-أفريل 1876	واحة العمري، الزيبان، قبيلة بوعزريد.	الشيح محمد بن يحي بن عياش
ثورة الأوراس	ماي 1876 إلى جوان 1879	الأوراس، أولاد تالة، أولاد داود، بني	حمد أمزيان بن عبد الرحمن

		بوسليمان، خنشلة، عين البيضاء، بسكرة.	
مقاومة بوعمامة	أفريل 1881 إلى ماي 1883	عين الصفراء، تيارت، فرندة، سعيدة، عين صالح، توات، قورارة، كرزاز	بوعمامة بن عربي بن تاج السنوسية، الطيبية، الكرزازية
انتفاضة مسيردة	1890	مسيردة، مغنية، تلمسان، لعشاش، جبالة، ندرومة، سواحلية، الغزوات	الشيخ الخضير محمد
ثورة عين التركي	1901	مليانة، شرشال، تيبازة، البليدة، الحجوط، تنس	يعقوب بن الحاج
انتفاضة باتنة	1902	باتنة خنشلة، بسكرة، بريكة، سطيف، مروانة، ميزاب	الشيخ عبد السلام
انتفاضة عين بسام	1906	عين بسام	/
ثورة بني شقران	1914	بني شقران، باريغو(المحمدية)، معسكر، هاشم	الشيخ بن علي بن النوي
مقاومة الصحراء	منذ 1906 إلى فبراير 1919	ميزاب، ورقلة، القطارة، الهقار، جانيت، تندوف	أحمد سلطان الشيخ عبد السلام
انتفاضة الأوراس	1917-1916	عين مليلة، باتنة، عين فكرون، خنشلة، بريكة، مروانة، عين توتة	بن علي بن نوي الشيخ مقدم زغان (13)

من خلال ما سبق ، يمكن الوقوف عند الملاحظات التاريخية التالية :

- إن المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي اتخذت أشكالا ، واستمرت منذ بداية الاحتلال ، بل منذ فرض الحصار البحري الفرنسي على الجزائر [14]، واختلفت في قوتها في التنظيم والتجنيد والتعبئة الشعبية ، فبعضها لم يكن سوى مجرد تمرد تم إخماده من قبل الإدارة الاستعمارية ، وعلى العكس من ذلك، كانت

مقاومات أخرى أكثر تنظيما وفعالية في مواجهة الاستعمار...[15] فكانت مقاومة الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري منذ 1832 إلى 1847 أكثر تنظيم من كل الجوانب العسكرية، السياسية والإدارية والاجتماعية، صعب على الاستعمار الفرنسي إخمادها ، إذ استعمل عدة طرق لذلك ومنها السياسة كالمعاهدات، واستطاع الأمير من توسيع نطاق الأراضي المحررة، بفضل حنكته السياسية واستراتيجيته العسكرية في المعارك التي خاضها ضد الاستعمار الفرنسي والتي بلغت 27 معركة [16].

وقد وجد الجيش الفرنسي صعوبة في التوسع واحتلال قسنطينة بعد حملة عسكرية ثانية (13و14 أكتوبر 1837) بعد مقاومة عنيفة بقيادة الحاج أحمد باي[17].

وشكلت ثورة بوعمامة التي استمرت من أفريل 1881 إلى أكتوبر 1908 قيمة خاصة في مواجهة التوغل الاستعماري في الجنوب الغربي الوهراني وعموم الصحراء، وبفضل هذه المقاومة، تأخر الاحتلال والتوغل في الصحراء الجزائرية، ولم تستطع فرنسا فرض الاستعمار إلا بالقوة والتوقيع بين قبائل أولاد سيدي الشيخ [18].

- لم تنل عدة " مقاومات شعبية " نصيبها من الدراسة التاريخية خاصة منها المونوغرافية ، إذ تبقى عدة أمثلة عن مقاومات شعبية بعيدة عن البحث التاريخي ، بل يشار إليها سطحيا في بعض الكتابات ، والمثال منطبق على " انتفاضة 1846 في منطقة مسيردة، الغزوات، بني بوسعيد، سبدو، تلمسان " ، وانتفاضة 1875 في أدرار، عين صالح، تمنراست، غرداية [19]...
- من حيث الإطار الزماني ، فإن المقاومة الشعبية الجزائرية تواصلت واستمرت منذ بداية الاحتلال حتى مطلع القرن 20 ، وتحديدا في عام 1916 وعمت أرجاء واسعة وأقاليما مترامية من الجزائر ، زادت جغرافيا عن 70% من التراب الوطني ، وتناسبت في حركيتها وتطورها مع " الاحتلال والاستعمار" ، فكلما توغل الاستعمار ووقع الاحتلال والاحتكار، كانت "المقاومة الشعبية" ومجالها

الطبيعي والبشري هو " القبيلة والعشيرة" ، أي قبيلة واحدة أو عدة قبائل مجمعة حول "الانتفاضة أو الثورة " كدعامة للتجنيد الشعبي ، والذي كان يؤطر تحت الزاوية الدينية ممثلة في شيخ الزاوية ...

فمن حيث الإطار الزماني والمكاني ، فأن تطور واستمرارية الثورات الشعبية في الجزائر واضح، وتشكل بذلك ، هذه المقاومة حالة خاصة ، انفردت بها الجزائر في سجل وتاريخ مقاومة الاستعمار ...

فلم تكن هذه الثورات الشعبية واسعة وممتدة في تونس والمغرب ، كمثال تاريخي ، شبيه بما كان في الجزائر ... ولعل هذه الظاهرة التاريخية تطرح أكثر من تساؤل ، نسعى للرد عليه .

فما سر تواصل هذه المقاومة الشعبية في الجزائر ..؟

وماهي مرتكزاتها ومرجعيتها ؟...

- لم يكن هناك تنسيق بين الثورات الشعبية في مواجهة الاستعمار (مثال ثورة الأمير عبد القادر ومقاومة أحمد باي) ، واختلفت في قوتها ، من مجرد تمرد ، إلى انتفاضة أو ثورة منظمة ، مثل ثورة **1871** ، فرغم مدتها الزمنية القصيرة ، إلا أنها اعتبرت كآخر وأخطر ثورة ضد الوجود الفرنسي بالجزائر ، وأصبحت الجزائر توصف بأرض الثورات [20].

3. قراءة في أسباب ودوافع المقاومات الشعبية :

رغم كثرة أشكال المقاومات والانتفاضات التي شهدتها الجزائر ، لم يكتب لها النجاح لأسباب عديدة :

1- عدم التنظيم الجيد للمقاومة وقلة إمكانياتها عددا وعدة .

2- ضيق مجال المقاومة أي مجالها الطبيعي ، مما سهل على جيوش الاحتلال تطويقها والقضاء عليها [21] .

3- نقص التنسيق أو انعدامه بين أشكال المقاومات .

4- لم تكن التعبئة وطنية ، بل محلية وكانت وسائل الدعم قليلة ...

المقاومة الشعبية المحلية تفشل وتسقط وتسهل على الاستعمار الفرنسي إخمادها ... وهو نقطة ضعفها المشتركة رغم تجدد وتكرر المقاومات الشعبية .

مقابل أسباب فشل " المقاومة الشعبية" باختلاف أشكالها ، هناك عوامل وأسباب أدت إلى "القيام ووقوع هذه المقاومات الشعبية باختلاف مكان وزمان وقوعها ومن **1830** إلى **1916** ...

للمقاومة الشعبية في الجزائر باختلاف أشكالها ومكانها وزمانها أسباب عامة وأساسية ومشركة أدت إلى وقوعها ، ويمكن حصر هذه الدوافع في :

1- الأسباب الحضارية الدينية ، المتمثلة في تمسك الجزائري بمقومات شخصية العربية الاسلامية ، والمبنية على ثوابت الدين الاسلامي واللغة والعادات ... وهي دوافع أدت به إلى التجند لمقاومة المحتل والمستعمر "الرومي" .

2- الأسباب " الوطنية" ، أي الانتماء إلى القبيلة والعشيرة والجماعة والوطن " الجزائر" ... وهذا الانتماء أصبح مهددا بفعل الاستعمار والاحتلال ، ومن الواجب الوطني مواجهة " المحتل"

فالمرجعية " الوطنية والدينية " هي التي حركت المقاومة الشعبية، وكانت بالتالي الأسباب العامة المشتركة لهذه الثورات ...فالعلاقة الكامنة بين عامة الشعب وإدارة الاستعمار هي التي أدت إلى وقوع هذه المقاومة الشعبية ...

أمام هذه الأسباب العامة ، هناك دوافع " محلية خاصة " أدت إلى اندلاع هذه الثورات والانتفاضات في أقاليم معينة وفي فترة محددة ، وبالتالي ، فإن أي ثورة ومقاومة شعبية تشترك في الأساليب العامة ولها دوافع محلية خاصة بها .

إن لثورة الزعاطشة **1849** ، أسباب محلية ، منها اندلاع انتفاضات محلية في جهات القل والبابور وملیانة في أوائل **1849** [22]. وانشغال فرنسا بثورة **1848** وبمخلفات سقوط النظام الملكي وقيام الجمهورية وسياسة التوسع الاستعماري التي طبقتها فرنسا منذ دخولها ببسكرة في ماي **1844** [23] .

ويبقى التفسير الفعلي لقيام الثورة هو التذمر العام الذي كان يعاني منه سكان المنطقة ورفضهم للسيطرة الاجنبية ..[24].ولكل " ثورة محلية" تفسير في

أسباب حدوثها ، وتختلف كذلك هذه التفسيرات من دارس لآخر ، ومن كتابة تاريخية لأخرى .إذ تركز الكتابات التاريخية الفرنسية في تفسير أسباب حدوث هذه "الثورات" على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ، من فقر ومجاعة ، ومصادرة ...، بينما ترى الكتابات التاريخية الجزائرية بأن العامل الوطني والحضاري الوطني أهم ، وأساسي ولا تلغي وجود الأسباب الأخرى الاقتصادية والمعيشة والاجتماعية [25].

يمكن وصف الأسباب والدوافع التي أدت إلى حدوث هذه الثورات الشعبية إلى ما يلي :

1- رفض الشعب الجزائري للسياسة الاستعمارية .

2- طبيعة الاستعمار الفرنسي المبنية على سياسة الاستيطان والتنصير وفرض القوانين الاستثنائية ضد المسلمين من الجزائريين .

3- الحالة العامة للجزائريين : سوء أحوال الجزائريين الاقتصادية والاجتماعية أدى إلى تحضيرهم وتهييئهم للثورة والانتفاضة [26].

4- مكانة قادة المقاومات (أحمد باي ، الأمير عبد القادر ، المقراني) أصحاب علم ، دين وجاه وسيف ... ، وبالمثل الشيخ بوعمامة الذي كان مدرسا واعضا وذا مكانة عند القبائل الصحراوية وشيوخها ، وهذا ما أقلق السلطات الاستعمارية [27]...

5- اعتماد فرنسا على سياسة تفكيك البنية الاجتماعية وتحطيم لعائلات كبرى ... وهذا أدى إلى وقوع الاصطدام بينها ومصالح هذه العائلات .

6- اعتبار بأن "الثورة " هي الحل الوحيد للخروج من المشاكل وتصفية الحسابات مع السلطات الاستعمارية ، وهو ما حصل مع الباشاغا المقراني [28].

7- إضافة إلى ما سبق ، يمكن اعتبار سقوط الحكم الملكي في فرنسا عاملا شجع سكان واحة العمري على الثورة ضد الاستعمار الفرنسي [29]... وغزو فرنسا لتونس [30] في **1881** هي من بين الأسباب الخارجية التي أثرت في وقوع المقاومات واستمرارها في الجزائر .

4. خصائص ومميزات المقاومات الشعبية :

يحمل مصطلح "المقاومة الشعبية" صفة أساسية للمقاومة ، وهي صفة الشعبية، فكان قوام هذه المقاومة ، سواء أكانت ثورة ، انتفاضة أو عصيان أو تمرد أو هجرة جماعية ... فعلى قدر وفعالية وقوة التجنيد والتعبئة الشعبية ، كانت تقوم الثورة وتستمر، وبفضل عاملي " الغيرة الوطنية والدينية " .

- كانت المقاومة الشعبية تنطلق بعد تزكية القائد تزكية شعبية جماعية، عن طريق البيعة ، كأسلوب " ديني جماعي علني " ، وفي كثير من الأحيان ، تحت تأطير الزاوية الدينية .

- كان مجال المقاومة الشعبية هو الريف ، مجسدا في القبيلة أو تجمع قبائل (العشيرة) ، ومجموعة قرى ، باستثناء مقاومة أحمد باي (**1837**) التي كانت حول " مدينة قسنطينة".

- إن محفزات الثورة لدى الجزائري كانت دينية ووطنية ، فالتمرد والثورة بالنسبة له ضرورة وحتمية ... لمحاربة الرومي المحتل وللدفاع عن الأرض والعرض ، ولمواجهة الاستعمار الاستيطاني ... تحت قائد مبايع ، أصبح في نظر الجزائري هو " المهدي المنتظر" ، " هول الساعة" ومخلصه ومنجيه من الاستعمار.

- اختلفت المقاومات الشعبية في وزنها وقيمتها ، وتنوعت إلى ثورات صغيرة أو كبيرة (قيمتها لا توزن حسب مدتها الزمنية) بل في نتائجها الميدانية تجاه الاستعمار ، فكان البعض منها ، ثورة منظمة مؤطرة وبأبعاد عسكرية ، اقتصادية واجتماعية وسياسية (الأمير عبد القادر ، الشيخ بوعمامة ...) وتميزت بنموها ومراحلها وأبعادها الاستراتيجية [31]... وفي المقابل ، كانت بعض المقاومات عبارة عن عصيان أو تمرد جماعي لم يرق إلى التنظيم.

- لم تكن مرحلة (**1830 –1916**) مجرد مقاومة شعبية عن طريق التجنيد الشعبي بل عرفت نضال سياسي لمواجهة الاستعمار الفرنسي ... وتعتبر حركة أعيان مدينة الجزائر وأعمال حمدان خوجة بمثابة بداية وبوادر للنضال السياسي وعموم الحركة الوطنية الجزائرية .

- واجه الاستعمار الفرنسي بأساليب عديدة المقاومة الشعبية ، من إبادة جماعية وقوة وقمع ، وإبرام المعاهدات عند الضرورة الاستراتيجية واستمالة الأطراف والموالين ، وقوة محلية ، "مثل قبيلتي الدوائر " التي وقعت معها فرنسا معاهدة يوم 16 جوان 1835 ، تمت بين الجنرال تريزال TREZEL المفوض من قبل الحاكم العام الفرنسي للجزائر وشيوخ القبيلتين وهذا قصد استمالة القبيلتين لمواجهة الأمير عبد القادر[32].

- ومن بين أساليب الاستعمار الأخرى والمهمة ، دعم الاستيطان الأوربي ، وكان من بين النتائج المباشرة لإنهاء أي ثورة هو مصادرة الأراضي وتحويلها إلى المستوطنين ، وتزايد حجم أراضي المستوطنين التي كانت مقدرة في 1870 بـ 565 ألف هكتار ليصل إلى 2.123.000 هكتار سنة 1917 [33].

- وعلى العموم ، فإن المقاومة الشعبية واستمرارها حتى 1916 أدت كنتيجة حتمية إلى تأخير الاحتلال الكلي للجزائر، والجدول التالي يبين تواريخ احتلال المدن.

المدينة	*تاريخ احتلالها*
بسكرة	1844
بوسعادة	مطلع 1850
الأغواط	1852
نمبغة	1891
الأبيض سيدي الشيخ ، جنان بوزرقة	1895
تيميمون	1890
أدرار	1901
تمنراست	1904
بشار	1904
إيليزي	1908
عين صالح	1909

- إضافة إلى ما سبق ، يمكن التأكيد على التواصل الزمني واستمرارية المقاومة الشعبية ، منذ بداية الاحتلال ، رغم تباين القوة العسكرية بين الطرفين ، فمن سنة **1830 – 1916** ، تواصلت المقاومة وتصاعدت خلال الأربعين سنة من الاحتلال ، ثم استقرت خلال فترة مقاومة أولاد سيدي الشيخ ، لتعرف تراجع واندثار ونهاية حتمية، والمنحنى التالي يوضح ذلك .

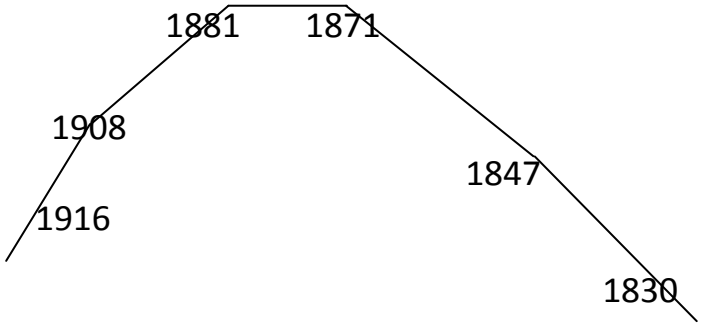

5. أهم المحطات التاريخية للمقاومة الشعبية في الجزائر

اعتمدت المقاومة الشعبية على عدم المواجهة المباشرة مع العدو ، بل على حرب العصابات بمجموعات صغيرة وفي عمليات سريعة في مهاجمة العدو من الخلف ومن الأجنحة ... وعملت هذه المقاومة الشعبية كذلك، اقتصاديا على تدمير مشاريع الجيش الفرنسي (تدمير الشركات الفرنسية ، قطع خطوط التلغراف، والسكك الحديدية ... حرق مخازن الحبوب ... وقطع التموين للعدو والمعمرين (34).

- إن أمثلة التضامن والتواصل الشعبي في مقاومة الاستعمار الفرنسي عديدة فالشيخ بوزيان قائد ثورة الزعاطشة كان يشغل منصب نائب للأمير عبد القادر بمنطقة الزيبان ، وشارك " أحمد المقراني " مع أحمد الباي في الدفاع عن قسنطينة (35).

- انتهت هذه المقاومة الشعبية بنتائج مادية (مصادرة ، تفقير، تهجير) وبشرية (قتلى شهداء وجرى) ...

جراء السياسة الاستعمارية المبنية على حرب الإبادة وتباين القوة العسكرية بين الطرفين ... إلا أنها في المقابل ، ساهمت هذه الثورات الشعبية إيجابيا في مواجهتها للاستعمار الفرنسي.

6. النتائج المترتبة عن المقاومات الشعبية:

بغض النظر عن الانجازات والنتائج التي حققتها المقاومات الشعبية يمكن إجمال أسباب فشلها في العناصر التالية:

- غياب عنصر التنظيم القادر على تحديد مكامن القوة والضعف لدى الجيش الفرنسي ووضع استراتيجية عسكرية قوية بإمكانها إضعاف قدرات العدو الهجومية [36].

- سوء التنسيق بين مختلف المقاومات الشعبية ومنها سوء التكامل بين مقاومة الحاج أحمد باي في الشرق ومقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري، لا سيما بين فترات 1932 – 1937..[37]

- عدم خروج أغلب المقاومات من إطارها المحلي، أي ضمن البادية أو المنطقة... وهو الذي سهل على جيش الاحتلال فرض الحصار عليها.

- كان استمرار أغلب المقاومات الشعبية مرتبطا بمصير استمرار حياة الزعيم أو القايد، وفشلها وانتهائها مرهون بوفاة هذا القائد.[38]

وفي مقابل هذا، كشفت مختلف المقاومات الشعبية المسلحة حقيقة المستعمر الفرنسي، وبينت ادعاءاته الكاذبة في تحضر الجزائريين وتخليصهم من قبضة العثمانيين، فقد أصبح ظاهرا للعيان لكل الجزائريين أن فرنسا لم تأت لإنقاذ الجزائر وتخليصها من السيطرة العثمانية، إنما جاءت للاحتلال الاستيطاني ونهب الخيرات.

كما بينت مدى ارتباط الجزائريين بأرضهم وتمسكهم بوطنهم ودينهم، وذلك من خلال انصياعهم التام وطاعتهم المطلقة لقياداتهم الروحية التي قادت مختلف المقاومات الشعبية.[39]

وأبرزت الاختلال الكبير الحاصل في ميزان القوى بين المقاومات الشعبية بوسائلها البسيطة من جهة وبين الجيش الفرنسي بقوته العسكرية المتطورة من جهة أخرى، هذا الفارق العسكري هو الذي منح التفوق والانتصار للفرنسيين في كل المقاومات الشعبية المسلحة.[40]

لكن المقاومات الشعبية أصبحت تجارب وخبرات مختلفة، استفاد منها المناضلون الجزائريون عندما قرروا العودة إلى الكفاح المسلح بعد فشل النضال السياسي لسنوات طويلة، فقد تفادت النخبة الجزائرية التي قادت الكفاح المسلح بداية الفاتح نوفمبر **1954** كافة الأخطاء الاستراتيجية والثغرات الأمنية التي وقعت فيها المقاومات الشعبية المختلفة.

وعموما فإنه بالرغم من فشل مختلف المقاومات الشعبية في الوصول إلى الأهداف الاستراتيجية والسياسية المتمثلة في تحقيق الاستقلال وإخراج القوات الفرنسية من الجزائر، فإنها استطاعت أن تحافظ على مقومات الأمة الجزائرية وكيانها وألغت تماما الأطروحة الفرنسية القائلة قبل الاحتلال "أن فرنسا تحتل الجزائر بدون مقاومة مسلحة" كما أنها حضرت فكرة القابلية للاستعمار على حد تعبير المفكر بن نبي التي روجت لها الإدارة الفرنسية وسعت بكل ما أوتيت من قوة من نشرها في أوساط المجتمع الجزائري.[41]

7. خاتمة:

نستخلص من هذه الدراسة التي تناولت في عمومها أحداث المقاومات الشعبية في الجزائر، أنها لم تكن كلها انتفاضات عشوائية منطلقها الدفاع عن العرش، أو اقتصادية بسبب الجوع والفقر كما يدعي الكتاب الفرنسيون، بل كانت مقاومة نابغة من وعي الشعب بأصالته ورفضه للاستعمار الفرنسي. وهكذا تصدى الشعب الجزائري لهجمات الفرنسيين الشرسة وأعوانه الخونة الذين حاولوا السيطرة

على الجزائر لكن ذلك قوبل بعزيمة وتضحية من قبل المجاهدين، عوضت التفوق المادي والعسكري للاستعمار، وقد التف الأهالي حول القيادات التي حملت لواء الجهاد وعبرت عن رفضها المطلق لوجود قوة كافرة انتهكت الدين والعرض وأرادت تغيير معالم المجتمع بما حملت من عادات وتقاليد بعيدة كل البعد عن قيم الجزائريين وقناعاتهم، بالنظر إلى شكل المقاومة في الجزائر وأهدافها يمكن استخلاص ما يلي:

- كانت أحداث هذه المقاومات كثيرة ومكثفة في الثلاثينات والأربعينات وبعد ذلك أخذت تقل وتتقلص بسبب الضغط الاستعماري المتزايد والمكثف ماديا وبشريا وتطبيقه لسياسة التقتيل والطرد الجماعي وأسلوب التجويع والتفقير والتجريد من الأملاك العقارية والمنقولة.

- زعماء هذه المقاومات تنقصهم فكرة التخطيط والنقص في الأسلحة الكافية والمتطورة على عكس عدوهم، ولم يكونوا يملكون سوى الحماس الديني والوطني كسلاح مادي وهي ضعيفة الفعالية.

- لعب القادة والشيوخ الدينيون وخاصة الرحمانيون دورا مهما وبارزا في تلك المقاومات وكانوا يرتمون فيها جماعات دون تردد، ومنهم الحاج بوزيات والحاج موسى الأغواطي بالزعاطشة، والحداد والأمير عبد القادر وبوعمامة....

لقد لعب الدين دورا بارزا في المقاومة الجزائرية وارتبطت كل الثورات بشيوخ الدين واعتمدت عليهم في تجنيد الناس لها وحفزهم على حمل السلاح، لأن الجزائريين في القرن **19** و**20**م، لم يكونوا يفرقون بين الدين والوطنية خاصة اتجاه الاستعمار الأوربي المسيحي.

إن المقاومة الجزائرية في القرن **19** وإن إرتبطت بأسماء أشخاص وزعماء عائلات كبيرة إلا الذين ارتموا فيها بصورة جماعية ولعبوا الأدوار البارزة والمؤثرة فيها، هم العمال والفلاحون من الطبقات الشعبية الكادحة شيوخا وشبابا ورجالا ونساء، ولم تكن لهم مصالح أو امتيازات يدفعون عنها، ويضحون في سبيل الوطن

عندما حملوا السلاح وثاروا وإنما هو الواجب الوطني الذي كان ممزوجا بالعمل الديني لأن الدين والوطنية شيء واحد عندهم كما هو في العقيدة الاسلامية.

8. الهوامش :

(01) نذكر هنا: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، 501ص و يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 800،2004ص وساسي ابراهيم، المقاومة الشعبية، دار مدني، الجزائر، 2009، 286ص. ومحمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة، الجزائر، ط1، قسنطينة، 1965....

(02) بوعزيز يحيى، الأمير عبد القادر– رائد الكفاح الجزائري، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 186،2008ص، ومحمد سي يوسف، مقاومة منطقة القبائل للإستعمار الفرنسي، دار الإقل للطباعة، الجزائر، 2000، 219ص، والتواتي بومهلة، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837–1934)، دار المعرفة، الجزائر، 2012، 159ص...

(03) سعيد بورنان، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830–1962، رواد الوطنية في القرن 19، ج2، ط2 منقصة، دار الأمل، تيزي وزو، 2004، ص19.

(04) بوعزة بوضرساية وآخرون، الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال ق19، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007،ص121.

(05) محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830–1956، تر: محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2008، ص28.

(06) يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين19 و20، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1988، ص13.

(07) الغالي غربي وآخرون، العدوان الفرنسي على الجزائر – الخلفيات والأبعاد، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص: 325–333.

(08) سعيد بورنان، نفس المرجع، ص12.

(09) بشير بلاح،تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1989)، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص158.

(10) المكاتب العربية: أنشأت لأول مرة في 1833 بهدف إحكام سيطرة فرنسا على السكان، وفي 1844، صدر قرار يحدد هياكلها وسلطاتها، وكانت مهمتها جمع الضرائب ومراقبة نشاط السكان والتجسس... ينظر إلى: بن داهة عدة، الإستيطان والصراع حول ملكية

الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، ج1، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2008، ص342.

(11) بشير بلاح، نفس المرجع، ص332.

(12) يوسف فرحي، فرنسا صاحبة اللطافة أو 132 سنة من عملية الإستعمار في الجزائر، دار دحلب، الجزائر، 2007، ص 56-57.

(13) وضع الجدول إنطلاقا من كتابات: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، نفس المصدر، ص345-349 والعربي منور، نفس المرجع، ص44-46، وصالح فركوس، تاريخ الجزائر... المراحل الكبرى، ص199-243 وسعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الآداب، بيروت، 1969، ص59-125 وعكاش أحمد، المقاومة الجزائرية (1845-1945)، الجزائر، وصاري جيلالي، ثورة 1871، الجزائر، ص21،74 و Ageron Ch. Robert, les Algériens Musulmans et la France, PUF, Paris, 1989 et Julien Ch. André, Histoire de l'Algérie contemporaine, PuF, Paris, 1963...

(14) يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20 ... مقدمة المرجع ...

(15) عميراوي أحميدة ، موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر، 2003 ، ص 67-68.

(16) ابراهيم مياسي ، قبسات من تاريخ الجزائر ، دار هومة ، الجزائر ، 2010 ، ص 56-58.

(17) عبد الحميد زوزو ، محطات في تاريخ الجزائر ، دار هومة ، الجزائر ،2011 ، ص 160.

(18) العربي منور ، نفس المرجع السابق ، ص44-45.

(19) محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة الجزائرية ، ط1 ، دار البعث قسنطينة ، 1985 ، ص 69.

(20) العربي منور ، نفس المرجع السابق ، ص 43.

(21) محمد العربي الزبيري ، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1972 ، ص 68.

(22) عيسى جعليط ، مقاومة سكان الواحات للاحتلال الفرنسي في ق 19 ، ثورة الزعاطشة 1849 ، مجلة الباحث ، الجزائر ، نوفمبر 1986 ، ص 37.

(23) يحي بوعزيز ، موضوعات وقضايا ... ج1، ص 564.

(24) ينظر إلى العنوان اللاحق حول "قراءة في دوافع وأسباب ثورة المقراني والحداد من خلال كتابات المؤرخين الجزائريين والأجانب .

(25) صالح فركوس ، مناظرات في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص322–324 .

(26) نفسه ، ص 221.

(27) يحي بوعزيز ،ثورة 1871 – دور عائلتي المقراني والحداد – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 63 .

(28) شلبي شهرزاد ، ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان خلال ق 19 – رسالة ماجستير في التاريخ – قسنطينة ، 2009 ، ص 44 –45 .

(29) صالح فركوس ، نفس المرجع السابق ، ص 325 .

(30) عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، نفس المصدر ، ص 59 – 130 .

(31) عميراوي ، موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2003 ، ص 96–97 .

(32) بشير بلاح وآخرون ، نفس المرجع السابق ، ص ، 152.

(33) عميراوي أحميدة وآخرون ، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844–1916) ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2009، ص 130–131 .

(34) صالح فركوش ، محاضرات في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص330 .

(35) يحي بوعزيز ، نفس المرجع ، ص 49.

(36) عبد الوهاب بن خليف، تاريخ الحركة الوطنية من الإحتلال إلى الإستقلال، ط1، طليطلة، الجزائر، 2009، ص93.

(37) محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954، ط1، دار البعث، الجزائر، 1985، ص66.

(38) عبد الوهاب بن خليف، نفس المرجع، ص93–94.

(39) نفسه، ص94.

(40) محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص71.

(41) عبد الوهاب بن خليف، المرجع السابق، ص94–95.